الفصل السابع

بعض الأمراض السرطانية والمستعصية

واجه الطبيب المصرى الكثير من الأمراض التى عرفها وأوجد العلاج لمعظمها، وكافح بعضها وعجز عن علاج البعض الآخر. منها الحمى المعدية، والتسمم الدموى، والحمرة، والدوسنتاريا، والروماتيزم، والتهابات الغدة النكفية، والطاعون، والشلل، والجذام، والدرن والتيتانوس، وعسر الهضم، وسقوط المستقيم، وغيرها من الأمراض.

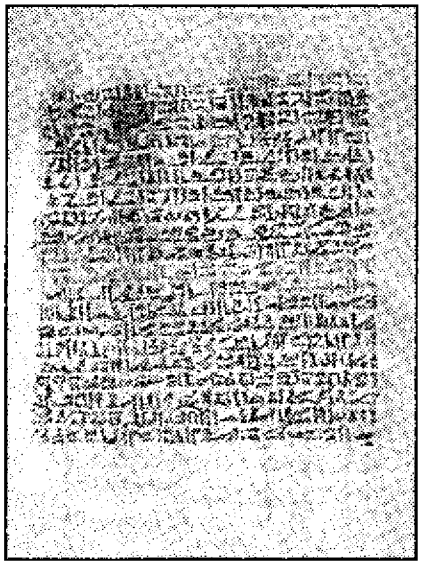

الجزء الخاص بعلاج السرطان فى بردية إيبرز

وذكرت البرديات بعض حالات السرطان التى واجهها الطبيب المصرى القديم منها السرطان المعدى أو سرطان القصبة الهوائية، وقد تم حديثا رصد ٣٩ حالة سرطان على المومياوات التى تم فحصها.

«إذا فحصت إنسانا مصابا بسدة فى معدته وإذا دخل معدته شىء تألم. فإذا تناول طعاما ضاقت الفتحة ويشكو المريض من ألم فى رجليه وإليته. وإذا ذهبت إليه ووجدت معدته تغيرت وانكمش وجهه، فقل: إنه مصاب بسدة صديدية... اذهب إليه ولا تتركه». وهى توصية تعكس إنسانية عالية واهتماما بالغا بالمريض.

وتذكر بردية إيبرز أيضا وصفا لسرطان الرحم: «وهذه واحدة أخرى لديها تآكل فى الرحم وظهرت التقيحات على المثانة».

ودرايته بالأورام الصدرية مثبتة بهذه الكلمات: «إذا فحصت صدر رجل به أورام، وتتحسس هذه الأورام فتجدها باردة، وعند لمسه لا تجد لديه حرارة. ولا توجد أية حبيبات فى هذه الأورام أو سائل أو إفراز يخرج منها، فيجب أن تقول إنه مصاب بأورام، يجب ألا أقربها».

ولكن ليست كل الأورام سرطانية، فتعرف الطبيب المصرى إلى معظمها وعالج كما كبيرا ومتنوعا منها.

وعـالج الطاعون الدملى الذى وصفه: «إذا فحصت مصابا بالقشـعريرة التى دامت سـاعات كالتقيـح الملتهم، وبالضعف كإنسـان فى آخر أنفاسـه، فقل إن ذلـك نتيجة احتباس تجمعات لا يمكن إخراجها ولا تخضع للعلاج البسيط، إن هذه التجمعات أحدثت دملا تعفن فيه الصديد، وإن المرض قد تمكن من المريض، اعمل له الوسائل لفتحه بواسطة الأدوية».

كما أن مرض النقرس ذكر فى البرديات: «...علاج إصبع القدم إذا كان مؤلما». وقد اكتشـف النقرس gout فى جثة رجل بجزيرة فيلة بها أملاح راسبة فوق العظام المشطية لأصابع القدمين وفوق عظمتى الساقين والشظيتين والأوتار الخلفية للساقين وعظام اليدين والذراعين.

وكان الطبيب يعد مزيجا من مغرة صفراء، ملح نطرون، سـرخس، مغرة حمراء حب دشـر، ليضمد به إصبع القدم إذا مرضت.

وقـد وصـف الطبيب بدقة بالغة أعراض القلب المريض: «إذا قمت بفحص مريض بمرض فى المعدة ويتألم من ذراعيه وصدره وجانبا من معدته، فإنك تقول الموت يهدده... صف له أعشـابا علاجية منبهة»، عرف الطبيب المرض بكلمة واز، ويوصى الطبيب بوضع يده على ذراع المريض حتى تزول آلامه، أى أن المرض تسرب للشرج والمستقيم، ولا يكرر الدواء اطلاقا.

واعتـبر الطبيـب حالة النزف المعدى مرضا مسـتعصيا «إذا فحصت سـدته فـى فم معدته، ووجدتـه قـد تغير واجتاز البرزخ إلى الآخرة، ففقد ذاكرته وجف فم معدته؛ فقل عنه إنه مصاب بتجمع دموى لم يلتصق، أزله بالعلاج: حضر له سعم، صنوبر، سبستان، شاشا والريانا، تغلى معا فى بيرة ويشربها الإنسان، عندئذ يخرج من فمه أو من دبره ما يشبه دم الخنزير المشوى.

ويذكـر من الأمراض العديدة المسـتعصية الشـلل الذى أصاب الكثيرين مثل سـبتاح، القرن ١٤ ق. م، وهى عدوى فيروسـية تصيب النخاع الشـوكى. ويدخل الفيروس الجسـم مع الطعام ويخرج مع البراز.

وعاصـر الطبيب الحمى التيفودية، والتيفوس ووباء الإنفلونـزا والملاريا لكثرة البعوض والناموس. كما واجه حـالات نسـيان وتوهان العقل وإصابـة العقل. وعالج الحمى الصفراء بعد أن قرن بينها وبين الكبد.

والمرض الآسـيوى مرض مسـتعص لـدى الطبيب لـذا لجأ إلى درئه عن الإنسـان بالرقى معلنا بذلك عدم معرفتـه به: «من الذى يعرف مثل الرمز رع؟ من الذى يعـرف مثله؟ هذا الرمز الذى يملأ الجسـم بالفحم إلى أن يمتلئ»، وكما أن سـت سـحر البحر، فست سوف يسحرك. سـت هو رمز العواصف والتقلبات الجوية.

أيها المرض الآسيوى لا تدخل، لا تدخل جسم فلان ابن فلان. تتلى هذه الرقية أربع مرات على زيت طازج وعلى خبز القدح، وهو خبز يوضع فى قدح ثم يخبز، سوف تطرده بذلك، ويعمل حجاب شتتوت».

ويلجأ الإنسان عادة إلى مثل هذا التصرف إعلانا عن عدم قدرته أو لمحدودية أداؤه تجاه موقف ما، فيستنجد بالقوى العليا الخفية فى حالة المصرى القديم الذى استشعر وجود قدرات الخالق بحسه وعقله.

لقد شخص الطبيب ببراعة العديد من الأمراض وحدد إمكانية علاج بعضها وعدم إمكانية علاج البعض الآخر، وكان محركه الأول الضمير والرغبة فى تخفيف الألم، وورد ببردية سميث حالة حددها الطبيب بمرض لا يعالج، ولكن الملابسات أثارت انتباهه وذكرها: «إذا فحصت شخصا عنده فقرة مهشمة فى عنقه، ووجدت هذه الفقرة سقطت فى أخرى وهو فاقد الصوت ولا يمكنه أن يتكلم، فإن سقوطه ورأسه لأسفل هو الذى تسبب فى تهشم فقرة فى الفقرة التالية، فإذا وجدته فاقد الوعى بذراعيه ورجليه بسبب ذلك، فيجب عليك أن تقول عنه... هو مرض لا يعالج». ولم تذكر أية رقية لمثل هذه الحالات فالعلم وحده هو المحرك هنا أمام الشواهد المادية الملموسة.

وتصدى الطبيب لحالتى خلع وكسر بعظمتى الترقوة، فكافح لعلاج الحالة الأولى واعتبر الثانية ميئوسا منها: «إذا فحصت شخصا عنده خلع فى عظمتى ترقوته ووجدت كتفيه مقلوبتين ورأسى عظمتى ترقوته مقلوبين نحو وجهه...يجب عليك أن تردهما حتى يرجعا لمكانهما، ثم ربطهما بلفائف كتانية صلبة، ثم عالجه بالدهن والعسل حتى يشفى. وإذا وجدت عظمتى ترقوته مصحوبتين بتمزق الأنسجة الرخوة التى عليها، وهما نافذتان للداخل، فيجب عليك أن تقول عنه أنه مرض سوف أعالجه» ووردت فقرة تفسيرية يقدمها الطبيب المعلم لشرح خلع عظمتى الترقوة التى أطلق عليها العظمة المنجلية: يكون رأساهما متصلين بأعلى عظمة صدره وواصلين لحنجرته الذى يكسوه لحم مقدم الصدر، وهناك وعاءان تحته واحد على اليمين وواحد على يسار الحنجرة وصدره وهما ذاهبان إلى رئتيه». وصفا تشريحيا دقيقا للمنطقة الداخلية للصدر. «إذا فحصت شخصا عنده كسر فى عضده ومصابا بجرح فوقه، ووجدت هذا الجرح يطقطق تحت أصابعك،...هو مرض سأكافحه، وتقابله حالة أشد: «إذا وجدت الجرح فوق الكسر ينزف دما وأنه واصل إلى داخل إصابته، وشخص الطبيب المعلم بأنه كسر بالعضد وفوقه جرح وخزى لا يعالج.

ومن الحالات المستعصية التى واجهها الطبيب المصرى القديم العيوب الخلقية كما ورد على جنين عثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون، واستدل بالفحص على إصابته spinal bifida أو انقسام فى العمود الفقرى.

كما تم الاستدلال على حالات تشوه فى القدم clubfoot، واستسقاء فى الرأس hydrocephalus، وبخلاف الجدرى عانى المصرى من البلهارسيا، التى عثر على آثارها على العديد من المومياوات، وكذلك الدرن الذى أمكن تتبعه منذ عصور ما قبل التاريخ، وهو مرض ينتقل من الحيوان إلى الإنسان.

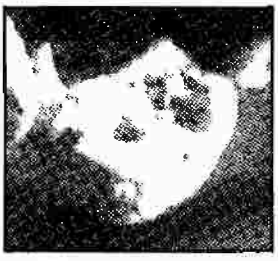

فقرة من فقرات أحد الأطفال تظهر عليها أعراض الدرن

وصف الطبيب فى بردية إيبرز حالة قد تكون طبقا لـ د.حسن كمال، حالة مرض بالظهر ربما درن بالعمود الفقرى: «إذا فحصت شخصا لمرضه بفم معدته ووجدت ظهره كاللدوغ من عقرب أو ما شابه، فقل إن التقيح أتلف ظهره، وإن هذه الحالة أعالجها بالأدوية للظهر، لازمه ولا تتركه: حضر له خمتو الظسفو، وبعد ذلك أعطه الأدوية: آس، نيويو، عصير السنط، جبس البناء، المكون آنذاك من hydrate calcium sulfate وشوائبه وهى رمل وكربونات الجير وكربونات المانيزيا وأكسيد الحديد والألومنيوم. اصحن واغلى فى حثالة البيرة، ضمده بذلك لمدة أربعة أيام حتى يشفى تماما».

وقد أظهرت مومياء أحد الأطفال عيبا خلقيا نادرا وهو تحجر العظام المعروف بـ Osteoporosis.

وتم تصوير حالة سيدة مصابة بتشوه خلقى ناتج عن مرض يصيب النخاع الشوكى، من الأمراض التى عرفت لدى المصرى القديم وهو لإحدى السيدات العاملات.

ومن التشوهات الخلقية العديدة التى عايشها المصرى ما يصيب الأقزام الذين تم نقش أشكالهم وتجسيدهم من خلال بعض التماثيل، وكان الأقزام مقبولين فى الحياة الاجتماعية المصرية بصورة طبيعية.

وتزوج القزم من امرأة طبيعية وأنجب أبناء طبيعى التكوين.

وبفحص مومياء ترجع للأسرة الثانية عشر، وجد أنها مصابة بالتهاب تشوهى بالعمود الفقرى فى الجزء الأمامى من الفقرتين التاسعة والعاشرة الصدريتين.

كما استدل على المرض osteo arthritis، و spondilitis deformans. فى النتوء الخلفى لبعض الفقرات.

وواجه الطبيب أيضا قروح الفراش التى استدل عليها فى إحدى المومياوات التى ترجع إلى الأسرة ٢١، والقروح منتشرة فى منطقة الظهر، وخلف إحدى الرجلين.

صورة لأحد الأقزام

قزم متزوج من سيدة طبيعية التكوين وأنجبا أبناء سليمى البنية

وأبرز فحص بعض المومياوات وجود طفيليات Schistosomiasis، كما تم رصد حالات مرض فيروسى ينقله الحيوان إلى الإنسان Smallpox أو الجدرى الذى أظهرت مومياء رمسيس الخامس آثاره على الوجه.

وبفحص المومياء وجد العديد من البكتيريا بطبقات الجلد بالرغم من مرور الزمن، وعثر على حليمات متفصصة على الجلد.

وعثر على بعض حالات شلل الأطفال، ولكن التهاب المفاصل كان أكثر شيوعا ويصيب مفاصل الركب التى اجتهد الطبيب فى وصف الدهانات اللازمة لتخفيف آلام هذه المفاصل، وعثر فى معظم المومياوات التهابات مفصلية مزمنة تصيب الأنسجة الليفية حول المفاصل وتتطور لتحدث تلفا بالغضاريف. وعادة ما يصحبه بؤرة صديدية بالأسنان أو الأمعاء.

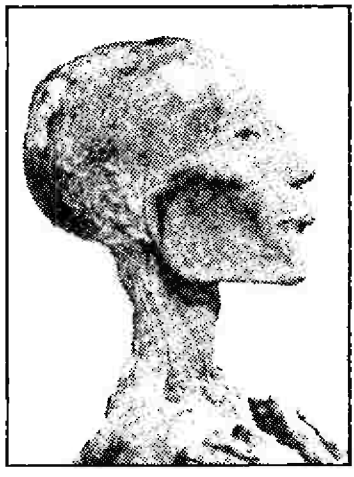

مومياء رمسيس الخامس، ١٩٢٥ ق. م. حيث تظهر عليه آثار مرض الجدرى، ومن المرجح أنه توفى بهذا المرض

وواجه الطبيب بعض الحالات الحرجة الأخرى والتى أوصى بعدم المساس بها منها حالة دوالى وريدية varicose veins «إذا وجدت بالجلد بأى عضو تعرجات ثعبانية مليئة بهوائها، والمشار اليه هنا هو الدم، فقل إنه نتيجة عدو الوعاء، لا تضع يدك على شىء مثل هذا، تنقلب الحالة رأسا على عقب».

وحالة الإنفريزما الشريانية الوريدية: «إذا فحصت ورما بالأوعية بالطبقات الجلدية لأى عضو ومظهره يكبر لالتفافه كالحية، وأوعيته كونت عقدا كالشىء المنفوخ هواء، لا تضع يدك على هذا الشىء فإن ذلك يضر عضو الإنسان»، ووصف الطبيب العلاج مع الرقية المصاحبة والذى يحدث النبض فى هذه الأعضاء.

ولكن الإصابة بالتيتانوس تمثل للطبيب استحالة فى العلاج، وقد ذكرت الحالة: «إذا أصيب أحدهم بجرح غائر فى المخ واصل حتى العظم، وتطور الجرح وأصبح فمه مزموما وعنقه به تيبس وأصبح لديه تيه، فإنك تقول هذا مرض يجب ألا أعالجه».

وواجه حالات الصرع بشجاعة ووصف العلاجات المهدئة لحالات الصرع ونوباته: «لطرد الصرع من العينين: بسباسا، برسيم حلو، ظايس، بيرة عذبة، يصفى ويأخذه الشخص المصاب بالصرع». وعلاج آخر لطرد الصرع من الإنسان: عود الرقة، خردل. فاكهة العرعر، خسيت، فاشرا، يمزج معا ويؤخذ.

ومن الحالات التى اقتضت من الطبيب الكثير من الثقة هى مواجهته لتجاعيد الوجه باستحضاره للمركبات التى تزيل أسارير الوجه على حد تعبيره.

ويستهل الطبيب وصفاته فى بردية سميث بهذا العنوان الشيق: «بدء كتاب تحويل الشيخ إلى شاب: أحضر مقدارا كبيرا من الفاكهة، همايت، ربما الحلبة، وشقها وعرضها للشمس. فإذا جفت تماما، قشرها كما يقشر الحب ودرها حتى تبقى الفاكهة، كيل كل ما يتحصل عليه من ذلك، ثم انخله بطريقة المنخل، كيل بالضبط كل ما ينتج من هذا وقسمه قسمين، أحدهما مكون من هذه الفاكهة والآخر كذلك، عالج كل قسم كالآخر.

ثم يذكر الطبيب بدقة بالغة الخطوات الإرشادية لغسل وتبخير الفاكهة: «خذ القسم الأول، وامزجه بالماء، حوله إلى مادة طرية، وضعه فى إناء جديد على النار، اطبخه جيدا، وتأكد من غليانه، اجعله يتبخر حتى يجف دون أن تتبقى فيه رطوبة، ثم أخرجه من الإناء، وبعدما يبرد، ضعه فى إناء آخر لتغسله فى النهر. اغسله جيدا، وتأكد من غسله بتذوق طعم الماء الذى بالإناء حتى يختفى أثر المرارة فيه. ضعه بعد ذلك فى الشمس ثم انثره على كتان الغسال، وبعدما يجف اطحنه فى طاحون حجرى».

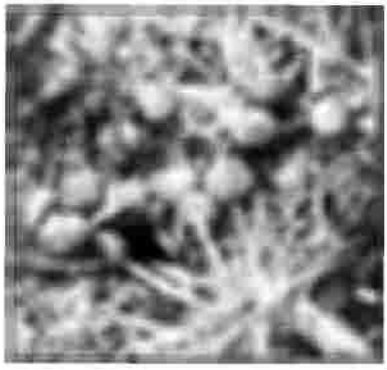

فاكهة العرعر التى أكثر المصرى من استعمالها فى مستحضرات متنوعة ولأغراض عديدة

تمثال للملك منتوحتب معروض بالمتحف المصرى بالقاهرة، وقد عثر عليه فى الدير البحرى. ويلاحظ ضخامة الأطراف السفلية وربما يكون مصابا بداء الفيل. ويرجع للأسرة ١١، القرن ٢٢ ق. م.

«اجعل القسم الثانى فى ماء، اجعل ما يشبه مادة طرية وضعه فى جرة على النار، اصحنه جيدا وتأكد من غليانه حتى تفور رغوته منه، استخرج المادة الموجودة بالإناء وغطسه بمغرفة. وبعدما يتحول إلى مادة يشبه قوامها الطين، ضعه فى إناء هن، استخرج المادة وانشرها على قماش من الكتان على فوهة هذه الجرة، بعد ذلك ضع هذه المادة فى إناء مصنوع من حجر ثمين».

ويوصى الطبيب بتعليمات خاصة للاستعمال: «ادهن الشخص فهو يزيل أسارير الرأس، فإذا دهن اللحم به، فإنه سيجمل البشرة، ويزيل الشوائب، وكل التشوهات وكل أعراض الشيخوخة وكل أنواع الضعف الموجودة باللحم، وجد ناجعا ملايين المرات».

ويستعمل حاليا البوتكس والليزر لعلاج أثار التجاعيد وإزالتها.

يرجع هذا الإناء إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد شكل من الطفلة النيلية على شكل الحرف الهيروغليفى الذى يعنى كلمة احضر، ويرجع الإناء إلى ٣٧٥٠ ق. م، نقادة الأولى. ويحفظ هذا الإناء حاليا بمتحف المتروبوليتان